

تفسير ابن كثير

* اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ^ج مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ^ط الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ^ط
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ
يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ^ج نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ^ج وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ^ق وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (الله نور السماوات والأرض) يقول : هادي
أهل السماوات والأرض . وقال ابن جريج : قال مجاهد وابن عباس في قوله : (الله نور
السماوات والأرض) يدبر الأمر فيهما ، نجومهما وشمسهما وقمرهما . وقال ابن جرير :
حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي ، حدثنا وهب بن راشد ، عن فرقد ، عن أنس بن
مالك قال : إن إلهي يقول : نوري هادي . واختار هذا القول ابن جرير ، رحمه الله . وقال
أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب في قول الله
تعالى : (الله نور السماوات والأرض) قال : هو المؤمن الذي جعل [الله] الإيمان
والقرآن في صدره ، فضرب الله مثله فقال : (الله نور السماوات والأرض) فبدأ بنور

نفسه ، ثم ذكر نور المؤمن فقال : مثل نور من آمن به . قال : فكان أبي بن كعب يقرأها : " مثل نور من آمن به فهو المؤمن جعل الإيمان والقرآن في صدره . وهكذا قال سعيد بن جبير ، وقيس بن سعد ، عن ابن عباس أنه قرأها كذلك : " نور من آمن بالله " . وقرأ بعضهم : " الله نور السماوات والأرض " . وعن الضحاك : " الله نور السماوات والأرض " . وقال السدي في قوله : (الله نور السماوات والأرض) : فبنوره أضاءت السماوات والأرض . وفي الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق في السيرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في دعائه يوم آذاه أهل الطائف : " أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلى عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك ، لك العتي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك " . وفي الصحيحين ، عن ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يقول : " اللهم لك الحمد ، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن " الحديث . وعن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور العرش من نور وجهه . وقوله : (مثل نوره) في هذا الضمير قولان : أحدهما : أنه عائد إلى

الله ، عز وجل ، أي : مثل هداة في قلب المؤمن ، قاله ابن عباس (كمشكاة) .والثاني

: أن الضمير عائد إلى المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام : تقديره : مثل نور المؤمن الذي

في قلبه ، كمشكاة . فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى ، وما يتلقاه من

القرآن المطابق لما هو مفطور عليه ، كما قال تعالى : (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه

شاهد منه) [هود : 17] ، فشبه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج

الشفاف الجوهري ، وما يستهديه من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل

، الذي لا كدر فيه ولا انحراف .فقوله : (كمشكاة) : قال ابن عباس ، ومجاهد ،

ومحمد بن كعب ، وغير واحد : هو موضع الفتيلة من القنديل . هذا هو المشهور؛ ولهذا

قال بعده : (فيها مصباح) ، وهو الذبالة التي تضيء .وقال العوفي ، عن ابن عباس [في]

قوله : (الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) : وذلك أن اليهود

قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم : كيف يخلص نور الله من دون السماء؟ فضرب الله

مثل ذلك لنوره ، فقال : (الله نور السماوات والأرض مثل نوره) . والمشكاة : كوة

في البيت - قال : وهو مثل ضربه الله لطاعته . فسمى الله طاعته نورا ، ثم سماها أنواعا

شتى .وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الكوة بلغة الحبشة . وزاد غيره فقال : المشكاة :

الكوة التي لا منفذ لها . وعن مجاهد : المشكاة : الحداث التي يعلق بها القنديل . والقول

الأول أولى ، وهو : أن المشكاة هي موضع الفتيلة من القنديل ; ولهذا قال : (فيها مصباح)

وهو النور الذي في الذبالة .قال أبي بن كعب : المصباح : النور ، وهو القرآن والإيمان الذي

في صدره .وقال السدي : هو السراج .(المصباح في زجاجة) أي : هذا الضوء مشرق

في زجاجة صافية .قال أبي بن كعب وغير واحد : وهي نظير قلب المؤمن . (الزجاجة

كأنها كوكب دري) : قرأ بعضهم بضم الدال من غير همزة ، من الدر ، أي : كأنها

كوكب من در .وقرأ آخرون : " دريء " و " دريء " بكسر الدال وضمها مع الهمز ، من

الدرء وهو الدفع ; وذلك أن النجم إذا رمي به يكون أشد استنارة من سائر الأحوال ، والعرب

تسمي ما لا يعرف من الكواكب دراري .قال أبي بن كعب : كوكب مضيء . وقال قتادة

: مضيء مبين ضخم . (يوقد من شجرة مباركة) أي : يستمد من زيت زيتون شجرة

مباركة (زيتونة) بدل أو عطف بيان (لا شرقية ولا غربية) أي : ليست في شرقي

بقيتها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار ، ولا في غربيها فيتقلص عنها الفياء قبل الغروب

، بل هي في مكان وسط ، تفرعه الشمس من أول النهار إلى آخره ، فيجئ زيتها معتدلا صافيا مشرقا . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عمار قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد ، أخبرنا عمرو بن أبي قيس ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال : شجرة بالصحراء ، لا يظلمها جبل ولا شجر ولا كهف ، ولا يواربها شيء ، وهو أجود لزيتها . وقال يحيى بن سعيد القطان ، عن عمران بن حدير ، عن عكرمة ، في قوله : (لا شرقية ولا غربية) قال : هي بصحراء ، وذلك أصفى لزيتها . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عمر بن فروخ ، عن حبيب بن الزبير ، عن عكرمة - وسأله رجل عن : (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال تلك [زيتونة] بأرض فلاة ، إذا أشرقت الشمس أشرقت عليها ، وإذا غربت غربت عليها فذاك أصفى ما يكون من الزيت . وقال مجاهد في قوله : ([زيتونة] لا شرقية ولا غربية) قال : ليست بشرقية ، لا تصيبها الشمس إذا غربت ، ولا غربية لا تصيبها الشمس إذا طلعت ، [ولكنها شرقية وغربية ، تصيبها إذا طلعت] وإذا غربت . وقال سعيد بن جبير في قوله (زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء) قال : هو أجود الزيت .

قال : إذا طلعت الشمس أصابتها من صوب المشرق ، فإذا أخذت في الغروب أصابتها الشمس ، فالشمس تصيبها بالغداة والعشي ، فتلك لا تعد شرقية ولا غربية . وقال السدي [في] قوله : (زيتونة لا شرقية ولا غربية) يقول : ليست بشرقية يحوزها المشرق ، ولا غربية يحوزها المغرب دون المشرق ، ولكنها على رأس جبل ، أو في صحراء ، تصيبها الشمس النهار كله . وقيل : المراد بقوله : (زيتونة لا شرقية ولا غربية) أنها في وسط الشجر ، وليست بادية للمشرق ولا للمغرب . وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، في قول الله تعالى : (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال : فهي خضراء ناعمة ، لا تصيبها الشمس على أي حال كانت ، لا إذا طلعت ولا إذا غربت . قال : فكذلك هذا المؤمن ، قد أجير من أن يصيبه شيء من الفتن ، وقد ابتلي بها فيثبته الله فيها ، فهو بين أربع خلال : إن قال صدق ، وإن حكم عدل ، وإن ابتلي صبر ، وإن أعطي شكر ، فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا مسدد قال : حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في قوله : (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال : هي وسط الشجر ، لا

تصبيها الشمس شرقا ولا غربا .وقال عطية العوفي : (لا شرقية ولا غربية) قال : هي شجرة في موضع من الشجر ، يرى ظل ثمرها في ورقها ، وهذه من الشجر لا تطلع عليها الشمس ولا تغرب .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عمار ، حدثنا عبد الرحمن الدشتكي ، حدثنا عمرو بن أبي قيس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، في قوله تعالى : (لا شرقية ولا غربية) ليست شرقية ليس فيها غرب ، ولا غربية ليس فيها شرق ، ولكنها شرقية غربية .وقال محمد بن كعب القرظي : (لا شرقية ولا غربية) قال : هي القبلية .وقال زيد بن أسلم : (لا شرقية ولا غربية) قال : الشام .وقال الحسن البصري : لو كانت هذه الشجرة في الأرض لكانت شرقية أو غربية ، ولكنه مثل ضربه الله لنوره .وقال الضحاك ، عن ابن عباس : (توقد من شجرة مباركة) قال : رجل صالح (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال : لا يهودي ولا نصراني .وأولى هذه الأقوال القول الأول ، وهو أنها في مستوى من الأرض ، في مكان فسيح بارز ظاهر ضاح للشمس ، تفرعه من أول النهار إلى آخره ، ليكون ذلك أصفى لزيبتها وألطف ، كما قال غير واحد ممن تقدم ; ولهذا قال : (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) قال عبد الرحمن

بن زيد بن أسلم : يعني : لضوء إشراق الزيت .وقوله : (نور على نور) قال العوفي ، عن ابن عباس : يعني بذلك إيمان العبد وعمله .وقال مجاهد ، والسدي : يعني نور النار ونور الزيت .وقال أبي بن كعب : (نور على نور) فهو يتقلب في خمسة من النور ، فكلامه نور ، وعمله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومصيره إلى النور يوم القيامة إلى الجنة .وقال شمر بن عطية : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال : حدثني عن قول الله : (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) قال : يكاد محمد يبين للناس ، وإن لم يتكلم ، أنه نبي ، كما يكاد ذلك الزيت أن يضيء .وقال السدي في قوله : (نور على نور) قال : نور النار ونور الزيت ، حين اجتماعا أضواء ، ولا يضيء واحد بغير صاحبه [كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتماعا ، فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه] وقوله : (يهدي الله لنوره من يشاء) أي : يرشد الله إلى هدايته من يختاره ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني ربيعة بن يزيد ، عن عبد الله [بن] الديلمي ، عن عبد الله بن عمرو ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الله خلق خلقه في ظلمة ، ثم ألقى عليهم من

نوره يومئذ ، فمن أصاب يومئذ من نوره اهتدى ، ومن أخطأه ضل . فلذلك أقول : جف القلم على علم الله عز وجل "طريق أخرى عنه : قال البزار : حدثنا أيوب بن سويد ، عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الله خلق خلقه في ظلمة ، فألقى عليهم نورا من نوره ، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ضل . [ورواه البزار ، عن عبد الله بن عمرو من طريق آخر ، بلفظه وحروفه] . وقوله تعالى : (ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) لما ذكر تعالى هذا مثلا لنور هداة في قلب المؤمن ، ختم الآية بقوله : (ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) أي : هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الإضلال . قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر : حدثنا أبو معاوية - يعني شيبان - ، عن ليث ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البخري ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح : فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن ، سراجة فيه نوره . وأما القلب الأغلف فقلب الكافر . وأما القلب المنكوس فقلب [

المنافق [عرف ثم أنكر . وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، ومثل الإيمان فيه
كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القيح والدم ، فأَي
المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه " . إسناده جيد ولم يخرجوه .